السلام في الفكر والثقافة الإسلامية

السيد مصطفى المحقق الداماد (S. Mostafa Mohaghegh Damad)

الكلمات الرئيسية
الإسلام، السلام، المساوات، التسامح، الأخوة

المتسخلص
لقد تجاوز بعض العلماء الغربيين الذين كتبوا عن الثقافة الإسلامية عموماً والشرع الإسلامي خصوصاً أمهات النصوص الموثوقة ، واعتمدوا مصادر ثانوية في استنباط معلوماتهم، وكانوا في بعض الأحيان يسلكون الطريق السهل في تعميم آراء خاصة فانتهوا إلى استنتاجات خاطئة أو سطحية، والأسوأ من ذلك أن هذه التعميمات قد اعتمدها المروِّجون كحقائق وبراهين دعوا لها ، فأدت هذه الطريقة الاستنتاجية إلى كثير من الزيف الذي عممه بعض الكتاب الحداثيين حول الشريعة الإسلامية العالمية.

يحاول المؤلف أن يقدم صورة صحيحة عن الإسلام على أساس النصوص الإسلامية الأصلية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي. وهذا يُعين على إزالة سوء الفهم القائم وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول.

وفي هذا السياق سيتم بحث المواضيع التالية بإيجاز: السلام والإسلام، مبدأ المساواة، التطبيقات الدينية والاجتماعية، مبدأ التسامح والأخوة العالمية في الإسلام، سوابق في التعاون الديني، نداء للسلام، مجادلة أهل الكتاب، الأخوة الدينية، الأخوة العالمية.

الإسلام والسلام

تكمن إحدى المغالطات الشائعة في أن الشرع الإسلامي هو بالدرجة الأولى شريعة حرب، هذا فيما يتعلق بسلوك الدولة في العلاقات الدولية، وقد يساند هذه النظرة لحدٍ ما الممارسة التي انتهجها بعض الحكام، ولكن نصوص الإسلام الأصلية الوحيدة المعتمدة تدعو لعكس هذا بشكل قاطع ، وهو أن الإسلام يفضل السلام كأساس أصيل لإطاره القانوني، وقد نظمت هذه النصوص الحرب فقط في الحالات الاستثنائية التي تراها شرعية، وإذا حدث ذلك فإنه يعني التعدي على مثل هذه النصوص القرآنية الواضحة .

وبداية نقول إن كلمة إسلام بالذات مشتقة من نفس الجذر اللغوي لكلمة سلام ويسلمْ وتسلمْ، وتتضمن معنى مشابهاً للخضوع لمشيئة الله إلى الهدي الإسلامي على أنه النور الذي يُخْرِج من الظلمات إلى النور وإلى سبل السلام والسلامة[1].

وأحد الصفات الإلهية وأسماء الله الحسنى هو السلام، وهو مذكور في القرآن بالذات ويرد في عديد من أحاديث النبي ، وهو يتلى مرات كثيرة في اليوم أثناء صلاة المسلم.[2]

وهناك دعاء إسلامي معروف تماماً يناجي فيه العبد الله: " اللهم، أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ." وعبارة " السلام عليكم " هي التحية المعتادة المستعملة يومياً من قبل العرب والمسلمين حتى يومنا هذا، وكلما ذكر اسم النبي محمد أو عيسى أو أي نبي آخر يُردف هذا الاسم بـ "عليه السلام ". وأما الجنة أو الفردوس فيطلق عليها اسم " دار السلام " في عديد من الآيات القرآنية[3].

وترد كلمة " سلا م " ومشتقاتها في أكثر من مائة آية في القرآن، بينما ترد كلمة " حرب " وفعلها المشتق في ست آيات فقط[4]. وسوف نورد أمثلة من هذه الآيات فيما بعد.

مبدأ المساواة

تعتبر الحرية والمساواة الركنين الرئيسيين لحقوق الإنسان وتقرهما الديمقراطية الكلاسيكية، وبالإضافة للحرية بكل أشكالها تؤلف المساواة الكفة الأخرى في ميزان حقوق الإنسان الأصلية، وهي تستحق الاهتمام الخاص بفضل صلتها الوثيقة بالسلام وأخوة بني الإنسان.

ويؤلف مبدأ المساواة أحد بديهيات الإسلام المقدسة البارزة، ويعتبر الإسلام كل بني البشر متساوين أمام القانون في حقوقهم وواجباتهم كذلك دون أي تمييز في جنس أو قومية أو لون أو أسرة أو عقيدة، فالتقوى هي وحدها مقياس كرامة الإنسان.

ويبرز مصداق هذا جلياً في الآيات القرآنية التالية:

" يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكركم عند الله أتقاكم"[5].

" يا أيها الناس !اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ".[6]

" وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة "[7].

وكذلك يؤكد كثير من الأحاديث النبوية هذا المبدأ في المساواة ،ونقتبس منها مايلي: " كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم"[8].

" أنا أخ لكل تقي ولو كان عبداً حبشياً وليس مني أي فاسق ولو كان قرشياً نبيلاً [9].

" لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى "[10].

وهذه النصوص الربانية دليل كاف على أن المساواة مبدأ أساسي في الشرع الإسلامي وهذه النقطة لا تحتاج إلى برهان آخر، ولا يمكن أن يشوبها أي ممارسة تاريخية مخالفة، وإن وجدت في حالات استثنائية فإنها تصنف على أنها مجرد انتهاك للشرع.

التطبيقات الدينية والاجتماعية

بادئ ذي بدء يتطلب مبدأ الحربة واجبات دينية وتفرض هذه الواجبات على المؤمنين، على قدم المساواة، دون تمييز بين مواطن و أجنبي وبين رجل وامرأة وبين أبيض وأسود، ولهذا السبب يقف المسلمون في صلاة الجماعة في المسجد وفي حجِّهم إلى مكة جنباً إلى جنب ، الغني بجانب الفقير والعربي بجانب الأعجمي والحاكم بجانب المواطن العادي دون أي تمييز ما.

ثانياً ينسحب هذا المبدأ أيضاً على العلاقات الدنيوية، فكل الناس متساوون في الحقوق والواجبات وينظر إليهم كذلك من قبل نظام موحد من القانون والشرع. وتنطبق هذه القاعدة على المسلمين حيثما كانوا وعلى غير المسلمين المقيمين في دار الإسلام وليس على غير المسلمين الذين يعيشون في دار الحرب.

مبدأ التسامح والأخوة العالمية في الإسلام

يمكن أن نقسم وبشكل مختصر التعاون بين الأديان وبين الجماعات الدينية المختلفة في مختلف العصور التاريخية إلى أربع مراحل متعاقبة. 1ـ التعصب وفقدان التسامح. 2ـ التسامح السلبي، 3ـ التفاهم والاتصال المتبادل، وأخيراً 4ـ التعاون الإيجابي.

ويتحكم بالمرحلة الأولى التي تأتي أولاً تاريخياً التحامل العشوائي والتعصب وفقدان التسامح الناجم عن الجهل والإيمان الأعمى عموما.، وتتسم هذه المرحلة خصوصاً بالعناد والمكابرة والتشدد في العلاقات والانحياز والمحاباة والكراهية والحقد والضغينة الشخصية التي تتقد أحياناً في اضطرابات وثورات وحروب . ويمكن أن نضرب أمثلة عديدة من التاريخ القديم والوسيط مثل الاضطهاد الروماني للمسيحيين والحروب الدينية في إسبانيا المسلمة والحروب الصليبية وغيرها.

ويحدث هذا التعصب الديني أحياناً ضمن الطوائف والفئات المختلفة في الدين الواحد والتي تسبب في أغلب الأحيان الصراعات الداخلية أو الحروب الطائفية كما حدث للحركة البروتستانتية في مرحلتها الأولى أو الحروب بين مختلف الطوائف في المسيحية أو الإسلام.

و لا تعوزنا الأمثلة الدالة على عدم التسامح الديني وعلى التعصب في التاريخ الحديث حيث نرى التعصب والاضطهاد الديني في الحركة الصهيونية في فلسطين وفي المظهر شبه السياسي بين الكاثوليك والبروتستانت في شمال إيرلندة اليوم.

ولكن رغم ذلك لا يمكن للمرء أن ينكر التغير في الموقف الذي يجري في العصر الحديث حيث يظهر الميل للتخلي عن هذا الشكل الذميم للتعصب وتبني نوع من الحرية الدينية والسلوك المرافق لها كالتسامح، ولكن لا زال هناك مقاومة سلبية أولية لأن الجو المحيط بها يتسم بالحذر والتحفظ وفقدان الثقة والخوف من التعاون.

وبعدها في المرحلة التالية فرضِتِ بعض التطورات العنصرية والعرقية المتعددة التفاهم المتبادل والألفة والتقارب بين مختلف الأديان والعقائد وهذا ناجم عن انتشار العلم والدعوة إليه والتقدم الحاصل في وسائل النقل والاتصالات وفي العلاقات التجارية والثقافية و قد نتج عن ذلك إقامة خطاب عقلاني وحوار مسالم بين الأمم.

وأما في المرحلة الأخيرة فقد أدى هذا الحوار بدوره إلى تغيير أساسي في الأوضاع، وفسحت مرحلة التسامح السلبي القائم على الحذر المتحفظ والريبة والخوف المجال بالتدريج لنوع من التعاون الإيجابي القائم على التفاهم المتبادل والنوايا الحسنة.

ولا جرم أن هذه الحقيقة متوافقة مع روح الدين الحقيقي التي تدعو للحب والصداقة والبر و الإحسان والتعاون المتبادل بين بني البشر ويتضح لنا مما ذكرناه أن نقاط الاتفاق والتلاقي بين مختلف الديانات أكبر بكثير من نقاط الخلاف والافتراق وأن الطريق نحو التفاهم المتبادل والتعاون أسهل بكثير من طريق الشقاق والاختلاف.، وأن الخطر الذي يواجه الأديان لا يصدر عن دين بعينه تجاه غيره بل يصدر عن المذاهب المادية الحديثة للفلسفة التي تتحدى كل الأديان ، لهذا كان لزاماً على كل الأديان أن تحافظ على تراثها المشترك وعلى نقائها وأصالتها.

وعلى الإسلام والمسيحية خصوصاً أن يتعاونا ليسلكا طريقاً مشتركاً يوحدهما في مثلهما وقيمهما الروحية الثمينة ليخدموا الجنس البشري تحت راية الإله الواحد رب المخلوقات جميعاً.

سوابق في التعاون الديني

إن المؤتمرات العالمية التي عقدت لتحقيق ونشر هذه الأهداف العالية السامية تقدم البراهين الدامغة على عدالة المرحلة الثانية في الحب المتبادل والتعاون العالمي، كما أن الإعلان البابوي الصادر في 28 تشرين أول (أكتوبر) من قبل مجلس الفاتيكان الثاني بخصوص علاقات الكنيسة الكاثوليكية بالأديان غير المسيحية هو خير ما يصور التطورات الأخيرة للحوار بين الأديان ، وهو يهدف إلى توثيق روابط الوحدة والمحبة بين كل الناس، لأن كل الأمم تؤلف أسرة واحدة، وهو يدعو الجميع للاعتراف بالقيم الروحية والأدبية والاجتماعية والثقافية الموجودة بين المؤمنين في الأديان الأخرى وتشجيعها وتنميتها عن طريق الحوار والتعاون حسبما يمليهما الحب والحكمة.

ويؤكد الإعلان خصوصاً على أن الكنيسة تحترم كل المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحمن الرحيم القدير العليم الذي خلق السموات والأرض وكلم الناس بواسطة الوحي، الذين خضعوا بكل أرواحهم لأوامر الله ، ولو لم يفهموا مراده الغيبي، كما خضع إبراهيم الذي يتشرف الإسلام ويربط نفسه به إلى أمر الله. وأن المسلمين وإن لم يقروا بألوهية المسيح فهم يوقرونه كرسول ويوقرون كثيراً مريم العذراء التي يدعونها في صلاتهم بكل إيمان، وهم يؤمنون كذلك بيوم الحساب حينما يبعث الموتى فيجزون أو يعاقبون حسب ما يستحقون، ولهذا يؤمنون تماما بالحياة الأبدية ويعبدون الله خاصة عن طريق الصلاة والزكاة والصدقات والصوم.

ويبين الإعلان أيضاً أنه" حتى في مجرى التاريخ جرى شقاق وعداوات بين المسيحيين والمسلمين والمجلس يرجوهم جميعاً أن ينسوا الماضي وأن يحموا كل الناس وأن يضمنوا لهم جميعاً المساواة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية[11].

وهذا مثل واضح جداً لنبذ الغلو والتعصب الديني وتشجيع التحمل والتفاهم والتعاون بين كل الناس الذين خلقوا من قبل إله واحد كأعضاء لأسرة واحدة.

وأما بالنسبة للشريعة الإسلامية فهي تقر حرية الفكر وحرية التعبير عن الرأي وممارسة الاجتهاد في المسائل الدينية، وهي تقر التسامح بين الأديان وبين الجماعات الدينية وبين الأمم والشعوب وتدعو إلى التفاهم المتبادل والتعاون بين كل الناس كما سنبين ببراهين واضحة.

وقد طبق علماء الفقه الإسلامي هذه المبادئ في تعاملهم مع المؤمنين غير المسلمين الذين يعيشون ضمن ظهراني الجماعة الإسلامية والتي أعلنها صراحة رواد الفقه الإسلامي الحديث أمثال الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما.

وقد كان جمال الدين الأفغاني يكره الانشقاق السني الشيعي وكان يقول بأنه لا يوجد سبب لمثل هذا الانقسام في الأمة الإسلامية ، وكان يبين أن هذا الانقسام سببه طمع وجشع الحكام وجهل العامة[12]. وما قاله يتماشى تماماً مع الآية القرآنية:" إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء".

وعلاوة على ذلك كان الأفغاني يعتقد بأن الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام متطابقة في أهدافها ومقاصدها وأن كتبها المقدسة متفقة في عقائدها الأساسية ، وهو يرى أن الاختلاف بين الأديان ليس في عقائدها ولا في كتبها المقدسة، بل فيما حاكه رجالها الذين جعلوا الدين سلعة وباعوا آيات الله بثمن بخس[13].

وبنفس الروح الإنسانية ناهض الشيخ محمد عبده التعصب الأعمى ودعا الناس جميعهم للصداقة والتعاون وكأنهم أمة واحدة.

وقال " يا للمصيبة التي وقعت بالإنسان. لقد غير سننه الطبيعية وبدل عاداته السلمية وفسخ صلاته الطبيعة علماً بأنه ينحدر من أصل واحد صدر عن أسرة واحدة اتحد أعضاؤها في عادات وأخلاق مشتركة"، وكان لهذا الوضع تأثير هائل على غالبية العقلاء الذين يميلون لخدمة بني الإنسان دون انحياز لجنس أو دين أو طائفة. فإن عاد الإنسان لأصل نشأته رأى جميع البشر يقطنون في منزل واحد ويتقاسمون المنافع المشتركة على قدم المساواة ويرون نعم الأرض وخيراتها كفيلة بحمايتهم من التعصب وجعلهم يكفون عن الشقاق والخلاف[14].

نداء للسلام

لا بد أن نكرر هنا مرة أخرى أن الدعوة للإسلام يجب أن تنهج أسلوب الترغيب والنصح الذي تؤكده آيات عديدة في القرآن الكريم مثل :" وما على الرسول إلا البلاغ المبين "[15]. ومثل : " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر "[16].ومثل: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين"[17]. ومثل:" وما أنت عليهم بجبار، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد "[18].

ثم حرم القرآن بشكل جلي أي نوع من القسر أو الإكراه في تبليغ رسالة الدين: " لا إكراه في الدين. قد تبين الرشد من الغي"[19]. " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "[20]. " وقل الحق من ربكم

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"[21]. وبالإضافة لهذا أكد القرآن مراراً وتكراراً تنوع الأديان وحكم الله فيهم. " لك دينكم ولي دين"[22]. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين. إنما يستجيب الذين يسمعون"[23]. "إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم"[24]. " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد "[25]. " قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون "[26].

ويتبين من الآيات المقتبسة ومن كثير غيرها بأن النبي الكريم قد أُمر أن يُبلّغ رسالته بالتبشير والوعيد وبالتذكير لا بالسيطرة والإكراه، وأما الإيمان برسالته فهذا منوط بحرية اختيار الإنسان ولا جدوى من عقيدة مشوبة بالقسر، ومع ذلك فإن حساب الناس على أفعالهم متوقف على الله الذي سيجمعهم يوم القيامة وسوف يكافئهم أو يعاقبهم على ما عملوا.

مجادلة أهل الكتاب

عندما نتكلم عن الحرية الدينية والتسامح تجاه أتباع كل العقائد وعن الحوار والتعاون فيما بينهم لا بد أن نشير إلى التوقير والاحترام اللذين يبديهما الإسلام لأهل الكتاب من المسيحيين واليهود الذين يؤمنون بالإله الواحد وبالدار الآخرة والعمل الصالح. وهذا يتضح في الآية التالية:" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[27].

ولقد أوصى القرآن الكريم المؤمنين ونصحهم أن يعاملوا أهل الكتاب بأحسن شكل ممكن وإن كانوا جيرانهم عليهم أن يعاملوهم بلطف وبشاشة. " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم "[28].

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "[29]. " فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد"[30].

وقد أثنى القرآن الكريم بشكل خاص على المسيحيين وأشار إلى رأفتهم ورحمتهم خصوصاً وإلى مرتبتهم الروحية العالية بفضل تواضعهم وبعدهم عن الكبر والغرور. " ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة"[31]. " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق "[32].

الأخوة الدينية

وعلى أساس المساواة بين كل الناس والتعاون الديني والتسامح أكد الإسلام على الأخوة الدينية بين المؤمنين من ناحية والأخوة الإنسانية لكل البشر من ناحية أخرى، وأن أخوة المسلمين هي نمط كلي وكامل قائم على وحدة العقيدة والدين، وأن صلاة الجماعة للمسلمين وتوجههم جميعاً إلى وجهة واحدة إلى الكعبة وصومهم في شهر واحد في وقت واحد وحجهم المقدس إلى مكة في فترة محددة وبخطوٍ متساوٍ ودفع الأغنياء زكاتهم للفقراء كلها أمثلة عملية على وحدة المسلمين وأخوتهم، هذا بالإضافة إلى الحب والمودة والثقة المتبادلة والتعاون الذي يفرضه الدين.

ويعتبر المسلمون في كل أنحاء العالم أمة واحدة عمادها التضامن الديني والأخوة الروحية التي يؤكد القرآن عليها كثيراً. " إنما المؤمنون أخوة"[33]. " إن هذه أمتكم أمة واحدة. وأنا ربكم فاعبدون"[34].

وهذا الرباط الأخوي يؤكده الحديث النبوي التالي:" المسلمون ذمتهم واحدة لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ". "والمؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً".

الأخوة العالمية

علينا أن نؤكد على حقيقة أن الأخوة الدينية في الإسلام هي مظهر لأخوة أعم ألا وهي الأخوة العالمية لبني الإنسان، وهذه العالمية قائمة على ثلاث دعائم الأولى عالمية رسالة محمد ، والثانية وحدانية الله وبالتالي وحدة الأديان ، والثالثة وحدة بني الإنسان.

1. عالمية رسالة محمد:

يؤكد القرآن الكريم والأحاديث النبوية على هذه العالمية، فرسالة الإسلام ليست مقصورة على الجنس العربي ولا على أمة بذاتها، فهي رسالة موجهة لكل الناس. " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[35].

2. وحدانية الله ووحدانية الدين:

يعلم الإسلام عقيدة التوحيد لله واحترام وتوقير كل الأنبياء والإيمان بكل الكتب المقدسة، ويرى أن الناس يؤلفون أمة واحدة أوسع في محيطها من أمة المؤمنين حيث يوحدهم الإيمان بالله الواحد.

ويتوضح هذا من الآيات السالفة والتالية. " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا"[36]. "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم. الله ربنا وربكم. لنا أعمالنا ولكم أعمالكم. لا حجة بيننا وبينكم. الله يجمع بيننا وإليه المصير"[37]. " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم. وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون "[38].

ويتكرر نفس هذا المعنى في القول الشريف للنبي: " يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ودينكم واحد"[39].

" اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة " وهكذا فالله القدير يدعو الناس جميعاً لدينه الواحد وسوف يقيهم برحمته من الانقسام والشقاق. وسوف يجمع قلوبهم معاً ويمطر عليهم بركات الأخوة والنعم الأخرى وسوف يرجعون إليه جميعاً في نهاية المطاف.

3. وحدة الإنسانية والعدالة:

أعلن الإسلام بكل جلاء المساواة بين كل الناس دون أي تمييز بينهم في دين أو قومية أو عرق أو لون أو نسب.

وهذا ناتج عن وحدة البشرية التي تربطهم جميعاً وعن وحدة العدالة العالمية التي تنظم كل علاقاتهم.

وبالإضافة إلى البراهين السابقة التي تدعم هذه الحقيقة، فإن أصدقُ ما يعبر عنها الآية التالية: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون"[40]، وعلى نفس النسق وردنا الحديث النبوي: " ليس منا من دعا الناس لعصبية، وليس منا من قاتل لعصبية وليس منا من مات لعصبية"[41].

وعلاوة على ذلك، أشار القرآن الكريم إلى وحدة وتضامن الكائنات البشرية في إنسانيتهم ويعتبر إنقاذ حياة واحدة كإنقاذ حياة الناس جميعاً. وإن العدوان على واحدة هو عدوان عليها جميعاً. "من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً" [42].

ولا يسمح الإسلام بالتمييز العنصري ولا الغلو القبلي ولا التعصب الديني الطائفي الأعمى، ولا يقر أي حميَّة إلا الحمية الدينية التي توحد وتجمع ولا تفرق. ولا تسمح بأي تنافس إلا في الصدقات والأعمال الصالحة ولا تفرض قيوداً على ذلك إلا القيود التي تفرضها روح الإنسانية جمعاء التي تحتضن كل الناس وتجمعهم في حقل الأعمال الصالحة وتضمن لهم العدالة المطلقة.

إن وحدة الطبيعة الإنسانية والعدالة وعالمية الرسالة الإسلامية ووحدانية الله ووحدة الأديان السماوية هي التي تقيم أسس الأخوة العالمية للإنسان والتي يؤكد عليها الإسلام بشدة مع أخوة الإيمان الديني، ولا شك أن هذه الأخوة هي النوع النموذج المثالي الذي يجب على القوانين الدولية أن تنهج نهجه.

الهوامش والتعليقات

1 القرآن 5: 15 - 16
2 القرآن 59: 23
3 القرآن 6: 127، 10: 25
4 القرآن 2: 5،279: 33و 64، 8: 57، 9: 107، 47: 4.
5 القرآن 49: 13.
6 القرآن 4: 1.
7 القرآن 31: 28.
8 السيوطي في الجامع الصغير رقم 6368.
9 عبد الرحمن عزام في الرسالة الخالدة طبع القاهرة عام 1946 ص 143.
10 محمد رشيد رضا في الوحي المحمدي القاهرة الطبعة الخامسة عام 1267 هجرية صفحة 226.

11 أعمال مجمع الفاتيكان، الثاني ، مطبعة بولين، بيروت 1966 المجلد 1 ص 185 - 188.
12 مذكرات جمال الدينا للدين الأفغاني، حررها محمد باشا المخدوني، بيروت 1931 ص 167.
13 نفس المصدر ص 217 , 213 - 214.
14 محمد رشيد رضا، التاريخ، القاهرة 1913، 3 مجلدات ،المجلد، ص 203.
15 القرآن 24: 25.
16 القرآن 88: 21.
17 القرآن 16: 125.
18 القرآن 50: 45.
19 القرآن 21: 255.
20 القرآن 101: 99.
21 القرآن 18:125
22 القرآن 109: 5.
23 القرآن 6: 35.
24 القرآن 88: 25.
25 القرآن 22: 17.
26 القرآن 39: 47.
27 القرآن 2: 62
28 القرآن 29: 46
29 القرآن 3:64.
30 القرآن 3: 20.
31 القرآن 57: 27.
32 القرآن 5: 82.
33 القرآن 49: 10.
34 القرآن 21:92.
35 القرآن 34: 28.
36 القرآن 3: 103.
37 القرآن 42: 15.
38 القرآن 29: 46.
39 محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي ص 231 من ابن عساكر.
40 القرآن 5: 48.
41 الجامع الصغير، مجلد 2 رقم 7682 من سنن أو داود.
42 القرآن 5: 32.